

## مشكلة التسؤل

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا

عيد كابة الطب

إن الشعب المصرى الكريم شعب محسن غاية الإحسان، ولكنه لاينظم إحسانه وتوزيع صدقته وزكاته، والمسلمون منه يحبون الإحسان أسوة بالنبي الكريم الذى كان أجود ما يكون متبعاً قوله تعالى : ( ما عندكم ينفد وما عند الله باق ) وقوله تعالى : ( مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ) .

ولمناسبة قيام الحكومة بمنع التسؤل رأيت الفرصة مناسبة جداً لأن أتحدث فيها عن هذه المشكلة لى أوفق إلى الفرض الذى أقصده وهو توجيه الشعب المصرى الكريم إلى تنظيم إحسانه. وسأعرض أثناء الحديث بعض النقط الهامة فى نظرى على الرأى العام ليناقشها حتى يزيد الموضوع جلاء ووضوحاً أمام القارئ على شئون الأمة خصوصاً وزارة الشؤون الاجتماعية.

فالمسألة خطيرة وتتطلب علاجاً ناجحاً فعلاً لمنع التسؤل معنا باتنا لارجعة فيه، ولا يمكن ذلك إلا إذا عولجت الأمور من مسباتها واستوصلت من جذورها ، لا علاجاً صحياً مؤقتاً لا يلبث أن يعود بعده التسؤل إلى ما كان عليه ، وذلك بمعالجة الفقر الذى نتج عن إهمال الناس وتعاونهم وعدم وضع أسس ثابتة صحيحة للإحسان تراعى فيها المصلحة الاجتماعية الدائمة .



والتسؤل كما هو عليه الآن فى مصر وصمة عار ظاهرة على القطر المصرى بأكله حكومة وشعباً وهيئات خيرية وأفراداً ... حكومة، لعدم اتخاذ الوسائل لمنع أسبابه ونشكرها إذا أخذت فى ذلك الآن - ولا شك عندى أن وزارة الشؤون الاجتماعية ستقوم بهذه المهمة خير قيام، رغماً عن تشعبها واتساع نطاقها وصعوبتها - وشعباً وهيئات خيرية ، لعدم قيامها بشكل منظم بواجبها نحو البؤساء والفقراء للمساعدة على إيوائهم وتخفيف ويلاتهم ، وأفراداً ،

الإحسانهم على محترفي التسول والتسائل في إعطاء القرش للسائل بدل اشتراكهم في جمعيات خيرية لهذا الغرض وبهذا التساعل يشجعون المتسولين ، ولا شك عندي أن المصريين سيقدرّون هذه الظروف .

ومنع التسول أمر حسن وحسن للغاية ولكن كيف الوصول إليه ؟ فالمشكلة ليست كغيرها تحل بمجرد إصدار قانون والاعتماد على تنفيذه بواسطة الإدارة والبوايس ، وهذه الهيئات الخيرية فضلا عن قيامها بواجبها فانها مرهقة بكثرة الواجبات وتعدها .

ومما يساعد على منع التسول علاج الأمراض المضعفة لابنية المنهكة للقوى . وعلاج المدمنين على المخدرات وجود دور خاصة بالمصابين بالأمراض المستعصية والمزمنة وإنشاء ملاجئ للعجزة وذوى العاهات كافية لإيواء الفقراء وغير القادرين على الكسب وأمثالهم ، وكذا زيادة عدد الملاجئ الخاصة لإيواء الأطفال المتشردين وتعليمهم وتدريبهم على مهن يكتسبون منها ، وإيجاد عمل للعاطلين والاستمرار في محاربة المخدرات . ولو عولجت الأمراض القابلة للشفاء وأعدت الأماكن الكافية لإيواء العجزة والمصابين بالأمراض الغير قابلة للشفاء وزيد عدد الملاجئ عامة وللاطفال خاصة لقل حتما عدد هذه الفئة من المتسولين . ولا بد أيضا من التفكير من الآن في مشكلة العمال العاطلين قبل ظهورها .

ولو قمنا بعمل أطراف صناعية لمن يترت أرجلهم ونظارات لمن ضعف نظرهم ووجدت الدور للنقاة ينتقل إليها المريض بعد تمام شفائه في المستشفيات ليتغذى ويعتنى به في جو صحى حتى يسترد قواه ويصبح قادرا على العمل ، لكان لذلك أطيب الأثر في عدد لا يستهان به من المضطرين للتسول لفقورهم ومرضهم وضعف صحتهم وعدم مقدرتهم على الكسب من طريق آخر .

من هنا يتبين جليا بعض فوائد ومقاصد مشروع يوم المستشفيات الذى دعونا له هذا العام . ولنا في نظام بعض الممالك الراقية أسوة حسنة . يلخص هذا النظام في الاحتفاظ ببعض الحرف والمهن ، فالتجارة الخفيفة التى لا تتطلب مجهودا قويا لبعض ذوى العاهات الغير معدية والمصابين بتر أو غير ذلك مما يجعلهم غير قادرين إلا على الأعمال التى لا تتطلب مجهودا بدنيا كبيرا .

ولو أدخل هذا النظام في بلادنا وروعى العمل به أثناء إعطاء الرخص لساعد ذلك كثيرا على إيجاد عمل مريح لهذه الفئة .

هذه الفئة التى ذكرتها من المتسولين ممن اعتلت صحتهم وأصيبوا بالعاهات إلى آخره هم من اسميهم المضطرين إلى التسول مرغمين مكرهين كارهين وبعضهم بحكم الممارسة وتعود التسول يتحول إلى متسول محترف .

وأما فئة محترفي التسؤل فأعود قائلاً أنهم آفة اجتماعية ووصمة أخلاقية ومثلهم كمثل المتباينين بأمراض عقلية أو نفسية أو شذوذ عقلي نفسي ... أقول ذلك لتمامي تسميتهم بالمتشردين أو المجرمين ولكنني أجد نفسي مضطراً أن أسمى بعضهم بهذه التسمية لأشاهده من يستهونون الأحداث ويدربونهم على التسؤل ويتسولون على ما يجمعونه من نقود وغيرها . فهؤلاء مجرمون خطرون على الهيئة الاجتماعية يدعون أن التسؤل فن ، بدون أي نجل ... نعم أنه فن ، ولكنه فن مرذول قبيح . يقف هؤلاء المحترفون في أماكن يختارونها لاستياد المحسنين ومضايقتهم ، معتبرين أن تصنع العاهات فن ، وما ذلك بفن ، ولكنه احتلال تجب محاربتة والقضاء عليه .

هذه الفئة من محترفي التسؤل يجب عزلها في ملاجئ أو إصلاحيات خاصة كما يفعل بالأحداث ذوى النزعة الإجرامية والمتشردين منهم ، على أن يعاملوا باللين والرفق ، وعلى أن يدربو على مهن وحرف يكتسبون منها ، وتلقى عليهم دروس وعظات على قدر ما يفهمون لإصلاح حالتهم النفسية والعقلية حتى يقاهاوا تماماً عن هذه العادة المرذولة، ويعودوا تدريجياً إلى طريق الكسب الشريف .

إن بعض محترفي التسؤل يتحايل ليقلد عاهة مرضية يتظاهر بها أمام الناس استدراراً لعطفهم واستغلالاً لشفتقتهم ورحمتهم على البائسين والمرضى .

هؤلاء هم حقاً مرضى العقول والنفس ، ويجب اعتبارهم كذلك ومعاملتهم كمرضى وحجزهم وتعليمهم في الإصلاحيات وعلاجهم .

وأما من كبروا وتناصت فيهم عادة التسؤل ولم تتحج معهم هذه الطرق الإصلاحية فليس لهم سوى العزل في ملاجئ خاصة بهم .

وأما المجرمون منهم فلا رادع ولا وازع لهم سوى العقوبة .

\*  
\*

وإن أتمت الحكومة هذا العمل بكل فروعه ونواحيه ، فإنها تسدى إلى مصر أكبر خدمة تستحق عليها أعظم شكر وأجل تقدير .

وعلى الشعب أن يساعد الحكومة والهيئات الخيرية ، فيعطى ما يوجد به إلى الهيئات الخيرية ولا يعطى للتسولين ، وأن ينظم كل فرد منا إحسانه فيضع ثمنه في جمعية برما ، يعتمد في صحة أغراضها وسلامة إدارتها التنوب عنه في رعاية البائسين ، أو يساعد عائلته ما أخنى عليها الدهر إلى غير ذلك ، ليبرئ ضميره ويريجح بأنه قام نحو الهيئة الاجتماعية بواجبه نحو أخيه الإنسان البائس .

إننى أعلم علم اليقين ، بوجود فئة صالحة محسنة ، لا تعلم بسرّها ما تعطيه يمنّاها . بل قاما  
نسمع عنهم ، يرون البأس واليتم والمحرّوم ومن أخنى عليهم الدهر ، ممن يحسبهم الجاهل  
بجالتهم أغنياء من التعفف — هذه الفئة الصالحة تساعد عن طيب خاطر فى أعمال البر  
والإحسان بدون أى تظاهر .

فإن فعلت ذلك أيها المصرى الكريم ، واشتركت فى هيئة من جمعيات البر ، فإنك لن تجزع  
ولن تعوزن ، ولن يؤذنبك ضميرك إذا ما امتنعت عن إعطاء السائلين فى الطرقات . وأما إذا  
استمر أفراد الشعب فى الإحسان جزافا وبغير انتظام ، واستسهل دفع القرش بدل تحمل  
مضايقة السائلين وبدل الارتباط بدفع مبلغ معلوم ، فإنهم يقفون فى سبيل المصلحين ، بل  
أن يعاونوا الحكومة ويساعدوها فى التضاء على هذه الرذيلة .

أضرب مثلا من سخاء المصريين فى الإحسان ما يصرف فى القرافة . نرى من الواجب  
أكرام القائمين على شئون المقابر ، ونبرر صرف الإحسان باعتدال فى هذه المناسبة وأن من  
اللائق وضع شئ من الزهور والرياحين على القبور .

ولكن المغالاة فى غير ذلك من إقامة الموائد والاسراف لا نرى لها مبررا ولا مثيلا  
فى البلاد الأخرى وها نحن تعيش بيننا جاليات أجنبية مختلفة لم نشاهد عندنا شيئا من هذا .

ووجه الغرابة أن الأغلبية الساحقة من المتنورين يقاومون ذلك بالاقبال ويودون  
الإقلاع عن هذه العوائد ولكن الكل يخشون الانتقاد وملامة اللاميين . ولو نظم جمع نصف  
ما يصرف فى هذه الوجوه لكفى لإنشاء حملة ملاحق لإيواء الفقراء والبائسين .

توجد مسائل أخرى نرجى بحثها لفرصة أخرى لضيق المقام . وأنوه فقط بأن النساء  
اللاتى يحملن الأطفال أو يصطحبهم للتسول فى الشوارع يأتين عملا شائنا مؤلما خاليا من  
الرحمة والانسانية ، فيه كثير من القسوة على الأطفال ، مؤذ اجتماعيا ، لأنه يعود هؤلاء على  
التشرد وممارسة التسول من صغرهم . وفيه مذلة لنفسهم لا نجد له مثيلا فى أى بلد آخر .

سليمان عزمى